الإمام الباقر عليه السلام واثره على المدارس الفقهية الاسلامية وعلم الفقه

المدرس الدكتور
بتول فاروق محمد علي
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه
com.batolfaroq@yahoo

المقدمة:

عاش الامام الباقر عليه السلام في الفترة الاموية المظلمة، حيث كان التزييف لدين محمد صلى الله عليه وآله يجري على قدم وساق كما يقال، وانقلبت حياة المسلمين الى نوع من المجون والانحلال، كان الخلفاء الامويون على رأس هؤلاء الماجنين، فقد انتهكوا الكثير من المحرمات، ولم تسلم منها حتى اقدس المقدسات الكعبة المعظمة. وكان الامام الباقر عليه السلام يرى كل ذلك، وهو الذي ولد قبل استشهاد جده الحسين عليه السلام بأربعة اعوام، وكان يتذكر ما جرى على العائلة من ظلم وارهاب و اذلال، من قبل يزيد بن معاوية (عليه اللعنة). وكان هو غزير العلم حتى لقب بالباقر، باقر العلوم، لذا سعى الى بث علمه في اوساط المدينة المنورة، الى كل من يريد العلم، ويريد ان يعرف الروح الاسلامية الصحيحة، كان يريد ان يستقيم هذا الدين، بعد ان شوهه بنو امية بأفعالهم واقوالهم ومحاربتهم لآل البيت عليهم السلام الذين يمثلون الامتداد الحقيقي للإسلام، فتتلمذ على يديه الكثير من العلماء والفقهاء، والذين اصبحوا فيما بعد اصحاب مدارس واصحاب اراء فقهية في المدارس الاسلامية، وصاروا ينقلون العلم عنه.

من هنا جاء هذا البحث ليتناول جانبا من جوانب حياة الامام العلمية، ليركز بالدرجة الاولى على اثر علم الامام الباقر في الفقه، والمدارس الفقهية الاسلامية، من حيث اخذ فقهاء كثر في عصره عنه، بالرغم من كل المضايقات التي كان يتلقاها من البيت الاموي.

جاء البحث في ثلاثة مباحث، الاول؛ دراسة عن حياة الامام واخلاقه وسماته، وعصره والحوادث التي وقعت فيه والخلفاء الذين عاصرهم وموقفه منهم. اما الثاني فيتحدث عن اراء الامام ورواياته الفقهية. اما المبحث الثالث فيتكلم عن سعة علمه واختلاف الناس اليه في الفقه من الفرق الاسلامية ونقلهم العلم عنه. كما يبين البحث اثر

الامامين الباقر والصادق عليهما السلام في تكوين مدرسة الامامية بأبهى تجلياتها العلمية والفقهية، وتأسيس المدرسة الجعفرية.

ثم ختم البحث بالخلاصة ونتائج البحث ثم ذكر المصادر والمراجع.

والبحث هذا هو استعراض سريع لجزء من سيرة الامام عليه السلام الفقهية، دون التطرق لعلومه الاخرى، التي يحتاج الى بحوث اخرى تظهر عظمة الامام العلمية.

المبحث الاول

الإمام الباقر عليه السلام ـ حياته وعصره

أبو جعفر محمد بن علي الباقر الإمام الخامس عند الشيعة الأمامية، ومن المعصومين وأهل البيت عليهم السلام، والده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالسجاد، وأمه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولد يوم ١ رجب ٥٧ هـ في المدينة المنورة - وتوفّي فيها في ٧ ذو الحجة ١١٤ هـ، وقيل ١١٥ وبالميلادي (١٣ مايو ٦٧٧م - ١ فبراير ٧٣٣م) [١]. عاش مع جدّه الحسين عليه السلام اربع سنين ومع أبيه عليه السلام بعد جدّه عليه السلام تسعاً وثلاثين سنة وكانت مدة إمامته عليه السلام ١٨ سنة. ومات في ٧ ذي الحجة[٢].

سبب شهادته: السم من قبل إبراهيم بن الوليد أو هشام بن عبد الملك أيام خلافته.

كنيته وألقابه: أما كنيته فهو أبو جعفر، وأما القابه، فهي:" باقر العلوم "و تخفف فيقال "الباقر "، والشاكر لله، والهادي.

كان له شرف الحصول على لقب "الباقر" من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله كما في رواية الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري حيث يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: "يوشك أن تبقى حتى تلقى ولداً لي من الحسين عليه السلام يقال له محمد يبقر العلم بقرا (يشقه شقا) فإذا لقيته فأقراءه مني السلام "فلما كَبُر سنّ جابر وخاف الموت جعل يقول: يا باقر يا باقر أين أنت، حتى راه فوقع عليه يقبّل يديه ورجليه ويقول: بأبي وأمي شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله إن أباك يقرؤك السلام.

وفي رواية أخرى:

إن جابر بن عبد الله الانصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان رجلا منقطعا إلينا أهل البيت وكان يقعد في مسجد رسول صلى الله عليه وآله وهو معتجر بعمامة سوداء وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنك ستدرك رجلا مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرا، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول، قال: فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مر بطريق في ذاك الطريق كتاب فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمد بن علي بن الحسين، فأقبل عليه يقبل رأسه(٣).

من اقواله وحكمه:

قالَ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: "عَالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ عَابِدٍ"(٤).

٣- قالَ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: "الْكَمَالُ كُلُّ الْكَمَالِ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَى النَّائِبَةِ، وَ تَقْدِيرُ الْمَعِيشَةِ"(٥).

٤- عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: "لَا يُحَالِفُ الْفَقْرُ وَ الْحُمَّى مُدْمِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ")(٦).

قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر عليه السلام "إِيَّاكَ وَ الكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، مَنْ كَسِلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقّاً، وَ مَنْ ضَجِرَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى حَقٍّ "(٧).

٧- قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر عليه السلام "إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخُ الْمُؤْمِنِ لا يَشْتِمَهُ وَ لا يَحْرِمَهُ وَلا يَسِيءُ بِهِ الظَّنَّ"(٨).

٨- قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر "عليه السلام أَفْضَلُ العِبادَةِ عِفَّةُ البَطْنِ وَالفَرْجِ)(٩).

من أخلاقه:

قال نصراني للباقر عليه السلام: انت بقر؟ قال: انا باقر، قال: انت ابن الطباخة؟ قال: ذلك حرفتها [١٠].

قال: انت ابن السوداء الزنجية البذيّة، قال: ان كنت صدقت غفر الله لها، وان كنت كذبت غفر الله لك، فأسلم النصراني.

ولايته وخلفاء عصره:

بدأت ولاية الإمام الباقر عليه السلام وإمامته الفعلية في عهد الوليد بن عبد الملك الذي شُغِلَ عن ال البيت عليهم السلام طوال فترة حكمه بتصفية أسرة الحجاج بن يوسف التي كانت تمسك بزمام السلطة في عهد أ بيه عبد الملك بن مروان[١١].

ثم جاء من بعده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي اتّسمت مواقفه ببعض الإنصاف تجاه أهل البيت عليهم السلام فمنع سبّ علي عليه السلام من على المنابر وكان بنو أمية قد اتخذوها سنّة بأمر معاوية. وأعاد فدك للسيدة الزهراء عليها السلام إلى الإمام الباقر عليه السلام، ثم جاء من بعده يزيد بن عبد الملك الذي انصرف إلى حياة الترف واللهو والمجون. كانت علاقة الإمام عليه السلام بالخلفاء علاقة رصد وتوجيه وإرشاد كما كانت علاقة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بخلفاء عصره. وكثرت الرسائل المتبادلة بين الإمام عليه السلام وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث ضمّنها توجيهات سياسية وإرشادات هامة [١٢].

اكبار العلماء والمعاصرين له لعلمه:

تحدث عبد الله بن عطاء عن اكبار العلماء وتعظيمهم للأمام عليه السلام وتواضعهم أمامه يقول: "ما رأيت العلماء عند أحد اصغر منهم عند ابي جعفر محمد بن علي لتواضعهم له، ومعرفتهم بحقه، وعلمه وأقتباسهم منه، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة على جلالته وسنه، وهو بين يديه يتعلم منه ويأخذ عنه كالصبي بين يدي المتعلم.."[١٣].

وعن شهاب الدين بن حجر الهيثمي قال: " ابو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الارض اي شقها، وأنار مخبآتها، ومكانتها، فلذلك هو اظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى الاعلى منطمس البصيرة، او فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاعر علمه، ورافعه، صفا وزكا علمه

وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله له ومن الرسول في مقامات العارفين ما تأكل عنه السنة الواصفين"[١٤].

قال عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي: أوصيك بخمس: "إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كذبت فلا تغضب، وإن مدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع، وفكّر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلّ وعزّ عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة ممّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك" [١٥]

المبحث الثاني

آراء الامام الباقر ورواياته الحديثية في الفقه وغيره

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة (١٢٢).

كان الامام الباقر يعد اصحابه لينشروا علمه الشرعي والكلامي والحديثي بين الناس، وكان راجح العلم، وريث علم النبوة، ولعلم الامام ورجاحة عقله، "نجد عبد الملك بن مروان يستشير الإمام عليه السلام في مسألة نقود الروم المتداولة بين المسلمين والتي كانوا يضغطون من خلالها على الخلافة، وذلك أن مشاحنة وقعت بين عبد الملك وملك الروم فهدده ملك الروم بأنه سوف يضرب على الدنانير سب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا هو لم يرضخ لأمره ويلبي طلباته. وبما أن النقود التي كان المسلمون يتعاملون بها كانت رومية فقد ضاق عبد الملك بهذا الأمر ذرعاً فاضطر أن يستشير الامام في ذلك، فأشار الإمام عليه السلام عليه بطريقة عملية يصنع بها نقوداً إسلامية مما جعل المسلمين يستقلّون بنقدهم" عليه السلام.

وعلم الفقه قد أخذ في معظمه من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، فقد حفلت الموسوعات الفقهية بالروايات المروية عن الإمامين عليهما السلام، والفقه الأمامي مازال يعتمد اعتمادا كبيرا على هذه الروايات[١٦] منها:

١- عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنهُ قَالَ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالصَّوْمِ، وَالْوَلَايَةِ ".

قَالَ زُرَارَةُ فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟

فَقَالَ: "الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ، وَالْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ...[١٧]".

قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: "عَالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفَ عَابِدٍ[١٨]"..

٣- قالَ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: "الْكَمَالُ كُلُّ الْكَمَالِ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَى النَّائِبَةِ، وَتَقْدِيرُ الْمَعِيشَةِ [١٩]".

٤- عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: " لَا يُحَالِفُ الْفَقْرُ وَ الْحُمَّى مُدْمِنَ الْحَجِّ وَ الْعُمْرَةِ [٢٠].

٥- رُوِيَ عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: " خَمْسٌ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى الْمَمَاتِ:

١ - الْأَكْلُ عَلَى الْحَضِيضِ مَعَ الْعَبِيدِ[٢١].

٢ - وَرُكُوبِي الْحِمَارَ مُؤْكَفاً[٢٢] .

٣ - وَحَلْبِي الْعَنْزَ بِيَدِي.

٤ - وَلُبْسُ الصُّوفِ.

٥ - وَالتَّسْلِيمُ عَلَى الصِّبْيَانِ لِتَكُونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي[٢٣]"،.

٦- قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر عليه السلام: "إِيَّاكَ وَالكَسَلَ وَالضَّجَرَ، فَإِنَّهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، مَنْ كَسِلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقّاً، وَمَنْ ضَجِرَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى حَقٍّ[٢٤]".

٧- قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر عليه السلام: "إنَّ المُؤْمِنَ أَخُ المُؤْمِنِ لا يَشْتِمَهُ وَلا يَحْرِمَهُ وَلا يَسِيءُ بِهِ الظَّنَّ [٢٥]".

٨- قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر عليه السلام: " أَفْضَلُ العِبادَةِ عِفَّةُ البَطْنِ وَ الفَرْجِ[٢٦]".

٩- قَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر عليه السلام: " إنَّ اللهَ يُحِبُّ إفْشَاءَ السَّلامِ[٢٧]".

١٠- رُوِيَ عَنْ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ

إِلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ:

"يَا مَعْشَرَ النَّاسِ: إِذَا طَلَعَ هِلَالُ شَهْرِ رَمَضَانَ غُلَّتْ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَبْوَابُ الْجِنَانِ، وَأَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، وَكَانَ لِلَّهِ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءُ يُعْتِقُهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، وَ يُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ اللَّهُمَّ أَعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ خَلَفاً، وَأَعْطِ كُلَّ مُمْسِكٍ تَلَفاً.

حَتَّى إِذَا طَلَعَ هِلَالُ شَوَّالٍ نُودِيَ الْمُؤْمِنُونَ أَنِ اغْدُوا إِلَى جَوَائِزِكُمْ فَهُوَ يَوْمُ الْجَائِزَةِ".

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: "أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا هِيَ بِجَائِزَةِ الدَّنَانِيرِ وَلَا الدَّرَاهِمِ"(٢٨).

وقَالَ الإمامُ محمد بن علي الباقر عليه السلام: "الكَمَالُ كُلُّ الكَمَالِ التَّفَقُّهُ في الدِّينِ، وَالصَّبْرُ على النَّائِبَةِ، وَتَقْدِيرُ المَعِيْشَةِ(٢٩)".

وساعدت الظروف السياسية التي عاصرها الإمام الباقر عليه السلام في إتاحة الفرصة له لنشر الحديث النبوي على نطاق واسع، حتى لا يكاد يخلو أي كتاب من الكتب الحديثية عند الفريقين من روايات للإمام الباقر عليه السلام، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في الكتب التسعة ٢٤٤ رواية. أما في المصادر الشيعية فهي زاخرة بمروياته الكثيرة.

وتشير بعض المصادر الشيعية إلى أنه قد كثر الرواة والمصنفون في الحديث من الشيعة في عهده وعهد ولده الصادق عليه السلام فقد روى جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث عن الباقر عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ومن تابعي التابعين ومن بعدهم: جابر بن يزيد الجعفي روى عن الباقر عليه السلام سبعين ألف حديث كما مر. وكان يقول عندي خمسون ألف حديث ما حدثت منها بشيء كلها عن النبي صلى الله عليه وآله من طريق أهل البيت. وكان المانع له عن التحدث بها أنها لا تتحملها بعض العقول الضعيفة فيكذب فيها ويسري التكذيب إلى أغلب الناس(٣٠).

رواة الإمام الباقر عليه السلام:-

روى عن الإمام الباقر عليه السلام جمع كثير من الرواة، يقول ابن شهر آشوب في مناقبه:

((روى عنه -أي الإمام الباقر- معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين، فمن الصحابة نحو: جابر بن عبد الله الأنصاري، ومن التابعين نحو: جابر

بن يزيد الجعفي وكيسان السختاني صاحب الصوفية، ومن الفقهاء نحو: ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، وأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وزياد بن المنذر النهدي.

ومن المصنفين نحو: الطبري، والبلاذي، والسلامي، والخطيب في تواريخهم. وفي: الموطأ، وشرف المصطفى، والإبانة، وحلية الأولياء، وسنن أبي داود، والألكاني، ومسندي أبي حنيفة والمروزي، وترغيب الأصفهاني، وبسيط الواحدي وتفسير النقاش، والزمخشري، ومعرفة أصول الحديث، ورسالة السمعاني فيقولون: قال محمد بن علي، وربما قالوا: قال محمد الباقر(٣١).

وقال ابن كثير الدمشقي: ((وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم. فمن روى عنه ابنه جعفر الصادق، والحكم بن عتيبة، وربيعة، والأعمش، وأبو إسحاق السبيعي، والأوزاعي، والأعرج، وهو أسن منه، وابن جريج وعطاء وعمرو بن دينار والزهري. وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال: حدثني أبي وكان خير محمدي يومئذ على وجه الأرض، وقال العجلي: هو مدني تابعي ثقة، وقال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث(٣٢).

قال ابن سعد: محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من المدينة كان عالماً عابداً ثقة وروى عنه الأئمّة أبو حنيفة وغيره.

قال أبو يوسف: قلت لأبي حنيفة: لقيت محمّد بن علي الباقر؟ فقال: نعم وسألته يوماً فقلت له: أراد اللّه المعاصي؟ فقال: أفيعصى قهراً؟ قال أبو حنيفة: فما رأيت جوابا أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب ويعني الحكم بن عيينة، وكان عالماً نبيلا جليلا في زمانه.

وذكر المدائني: عن جابر بن عبداللّه انّه أتى أبا جعفر محمّد بن علي إلى الكتاب وهو صغير فقال له: رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله ـ يسلّم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول اللّه والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: يا جابر يولد مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد، اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام.

وذكر ابن الصبّاغ المالكي بعد نقل القصّة قوله: انّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لجابر: وإن لاقيته فاعلم انّ بقاءك في الدنيا قليل فلم يعش جابر بعد ذلك إلاّ ثلاثة أيّام. ثمّ قال: هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام وفضيلة شهد له بها الخاص والعام.

وقال عبدالله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلّم.

وقال المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام في علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وسارت بذكر كلامه الأخبار وأُنشدت في مدائحه الأشعار....

قال ابن حجر: صفا قلبه، وزكاه علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين [٣٣].

يورد ابن حجر لائحة طويلة بالذين رووا أحاديث منقولة عن الباقر. وقد حقق عدد كبير من هؤلاء شهرة عظيمة وشكلوا بدورهم دوائرهم الدراسية الخاصية بهم. وهكذا، راحت أحاديث الباقر تنتقل إلى الأجيال اللاحقة، ليس من خلال ذريته الخاصة وحسب، بل من خلال هؤلاء العلماء أيضاً. ومن هؤلاء، إلى جانب ولده جعفر الصادق (ت.١٤٨هـ/٧٦٥م)، علماء من أمثال أبي إسحق الصائبي، وعمرو بن عبد الله (ت.١٢٨هـ/٧٤٥م)، والعراج (توفي بعد ١٤٠هـ/٧٥٨م)، والزهري، ومحمد بن مسلم بن شهاب (ت.١٢٤هـ/٧٤٢م) وعمرو بن دينار (توفي حوالي ١٢٦هـ/٧٤٣م-٧٤٤م)، والأوزاعي، وعبد الرحمن بن العمر (ت.١٥٧هـ/٧٧٤م)، وابن جُريح، وعبد الملك (ت١٥٠هـ/٧٦٧م)، والأعمش، وسليمان بن مهران (ت.١٤٨هـ/٧٦٥م) ومكحول بن راشد (ت.١١٥هـ/٧٣٣م)، ومعمر بن يحيى بن سامسان.

ويبدو أن لائحة ابن حجر لم تكن كاملة لأن الذهبي (ت.٧٤٨هـ/١٣٤٧م) يضيف أسماء أخرى مثل ربيعة الراعي (ت.١٣٦هـ/٧٥٤م) فيضيف أسماء عطاء بن أبي رياح (ت.١١٤هـ/٧٣٢م)، وجابر الجعفي (ت.١٢٨هـ/٧٤٥م)، وأبان بن تغلب

(ت.١٤١هـ/٧٥٩م)، وليث بن أبي سَليم/سُليم. والحقيقة، أن ابن حجر نفسه يذكر كلمة ((وآخرين)) عند انتهائه من لائحة أسمائه، الأمر الذي يشير بوضوح إلى أنه لم يتمكن من جمع كل هؤلاء دفعة واحدة. يضاف إلى ذلك، أنه يسمي عند ذكره العلماء إفرادياً، المزيد من الناس مثل أبي الجارود زياد بن المنذر، وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، على أنهم رواة أحاديث عن الباقر [٣٤].

المبحث الثالث

الفقه في عصر الامام الباقر عليه السلام

حين ضعفت الدولة الاموية، سنحت الفرصة للأمام الباقر عليه السلام لبث السنة النبوية وتزويد المسلمين بالعلوم الشرعية والفكرية والكلامية، فصار الناس والعلماء يتحملون عناء السفر للحضور عند الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، للتزود بالعلوم وضبط ما سمعوه في كتبهم، فنشر الامام الباقر عليه السلام من العلوم الكثير[٣٥]. يقول ابن كثير:" ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، وسمي بالباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، كان ذاكرا خاشعا صابرا، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحسب، وكان عارفا بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضا عن الجدال والخصومات" [٣٦]. وقال ابن خلكان: ابو جعفر محمد بن زين العابدين، الملقب بالباقر، أحد الائمة الاثني عشر في اعتقاد الامامية، وهو والد جعفر الصادق. كان الباقر عالما سيدا كبيرا، وإنما قيل له الباقر، لأنة تبقر في العلم اي توسع، وفيه يقول الشاعر: يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الأجبل[٣٧] ..

وقد ظهرت في فترة الامام الباقر الحركات المغالية، فكانوا يبثون الاحاديث الكاذبة ويسندونها الى حملة العلم من اصحاب الائمة عليهم السلام، فكان المغيرة بن سعيد يدعي الاتصال بابي جعفر الباقر، ويروي عنه الاحاديث المكذوبة، فأعلن الامام الصادق عليه السلام كذبه والبراءة منه، واعطى لأصحابه قاعدة في الاحاديث التي تروى عنه، فقال "لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة [٣٨]". وبمجرد ان ظهرت اتجاهات الغلو في المجتمع الشيعي، بادر كثير من الشيعة واصحاب الائمة الأطهار الى الوقوف بوجهها بكل قوة، ورفضوا إعطاء اي صفة فوق بشرية للأئمة، وهم الخلفاء الحق للرسول صلى الله عليه وآله وهو الذي أمر المسلمين بالتسليم لهم بصفتهم مفسري الكتاب وورثة علمه،

وهذا هو الفارق بين هؤلاء الأصحاب وبين سائر المسلمين، الذين كانوا يلتقون بالأئمة على صعيد طلب العلم أو محبتهم ومودتهم، او نقل الرواية عنهم بعدّهم علماء اهل البيت لا أئمة مفترضي الطاعة. فكانوا يرون في الامام الباقر والصادق عليهما السلام اعلم اهل زمانهم لا يرون ان طاعتهم واجبة بنص النبي صلى الله عليه وآله(٣٩). " لقد اضمر الخصوم لاسيما حكام بني امية وبني العباس العداء لأئمة أهل البيت عليهم السلام وسعوا الى تضييق الخناق عليهم للحد من اختلاف الناس اليهم، إلا انه شاءت الاقدار الالهية كسر هذا الطوق الذي فرضوه، حيث سنحت الفرصة لهم عليهم السلام لنشر السنة النبوية وبثها في أوساط المسلمين، ولما كان ذلك ثقيلا على خصومهم عمدوا الى بث الاكاذيب على لسان الائمة عليهم السلام بغية تشويه سمعتهم والتقليل من شأنهم"(٤٠).

وهذه امثلة بسيطة لما روي عن الامام الباقر في احتجاجاته مع الاخرين:-

كان زاهداً عابداً وقد بلغ من العلم درجةً عاليةً سامية، حتى إن كثيراً من العلماء كانوا يرون في أنفسهم فضلاً وتحصيلاً، فإذا جلسوا إليه أحسّوا أنهم عِيالٌ عليه، وتلاميذٌ بين يديه، ولذلك لُقّب بالباقر: من بَقَر العلم أي شَقّه، واستخرج خفاياه، وقد كان إلى جانب علمه من العاملين بعلمهم؛ فكان عفّ اللسان، طاهرَ. اقرأ هذه المناظرة للأمام سلام الله عليه مع النصراني.

عن عمرو بن عبد الله الثقفي قال أخرج هشام بن عبد الملك أبا جعفر محمد بن عليعليه السلام من المدينة إلى الشام، وكان ينزله معه، فكان يقعد مع الناس في مجالسهم، فبينما هو قاعد وعنده جماعة من الناس يسألونه إذ نظر إلى النصارى يدخلون في جبل هناك فقال: ما لهؤلاء القوم؟ ألهم عيد اليوم؟ قالوا لا يا ابن رسول الله، ولكنهم يأتون عالما لهم في هذا الجبل في كل سنة في هذا اليوم فيخرجونه ويسألونه عما يريدون وعما يكون في عامهم، قال أبو جعفر: وله علم؟ فقالوا: من أعلم الناس، قد أدرك أصحاب الحواريين من أصحاب عيسى، قال: فهلم أن نذهب إليه، فقالوا: ذلك إليك يا ابن رسول الله، قال فقنع أبو جعفر رأسه بثوبه ومضى هو وأصحابه فاختلطوا بالناس حتى أتوا الجبل، قال: فقعد أبو جعفر وسط النصارى هو وأصحابه، فأخرج النصارى بساطا ثم وضعوا الوسائد، ثم دخلوا فأخرجوا ثم ربطوا عينيه فقلب عينيه كأنهما عينا أفعي، ثم قصد نحو أبي جعفر فقال له أمنا

أنت أو من الامة المرحومة؟ فقال أبو جعفر: من الامة المرحومة، قال: أفمن علمائهم أنت أو من جهالهم؟ قال: لست من جهالهم، قال النصراني أسألك أو تسألني؟ قال أبو جعفر: سلني فقال: يا معشر النصارى رجل من امة محمد يقول: سلني! إن هذا لعالم بالمسائل.

ثم قال: يا عبد الله أخبرني عن ساعة ماهي من الليل ولا هي من النهار أي ساعة هي؟ قال أبو جعفر: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، قال النصراني: فإذا لم يكن من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فمن أي الساعات هي؟ فقال أبو جعفر: من ساعات الجنة وفيها تفيق مرضانا، فقال النصراني: أصبت، فأسألك أو تسألني؟ قال أبو جعفر: سلني، قال: يا معاشر النصارى إن هذا لملي بالمسائل أخبرني عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون أعطني مثله في الدنيا، فقال أبو جعفر: هو هذا الجنين في بطن امه يأكل مما تأكل امه ولا يتغوط، قال النصراني: أصبت، ألم تقل: ما أنا من علمائهم؟ قال أبو جعفر: إنما قلت لك: ما أنا من جهالهم، قال النصراني: فأسألك أو تسألني؟ قال: يا معشر النصارى والله لاسألنه يرتطم فيها كما يرتطم الحمار في الوحل، فقال: اسأل، قال: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت بابنين جميعا، حملتها في ساعة واحدة وما توفيا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة في قبر واحد، فعاش أحدهما خمسين ومائة سنة، وعاش الآخر خمسين سنة، من هما؟ قال أبو جعفر هما عزير وعزره، كان حمل امهما ما وصفت، ووضعتهما على ما وصفت، وعاش عزره وعزير، فعاش عزره وعزير ثلاثين سنة، ثم أمات الله عزيرا مائة سنة وبقي عزره يحيا، ثم بعث الله عزيرا فعاش مع عزره عشرين سنة.

قال النصراني يا معشر النصارى ما رأيت أحدا قط أعلم من هذا الرجل، لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام، ردوني، فردوه إلى كهفه ورجع النصارى مع أبي جعفر[٤١] لقد جهد الامام الباقر على نشر الفقه الاسلامي في وقت كان الامويون قد مارسوا سياسة التجهيل، وشوهوا الاسلام الى الحد الذي وصل به المسلمون في الشام والبصرة لا يعرفون اوقات الصلاة ولازماة الفطرة[٤٢].

وكان يوجد في بلاد الشام من لم يعرف عدد الصلوات المفروضة، فراحوا يسألون الصحابة عن ذلك[٤٣].

إن الدور المشرق الذي قام به الامامان الباقر والصادق عليهما السلام في نشر الفقه وبيان احكام

الشريعة كان من اعظم الخدمات التي قدمت للعالم الاسلامي، فكانا اعلم الموجودين في زمانهما، لذا اسرع الى الاخذ من علومهما ابناء الصحابة والتابعون ورؤساء المذاهب الاسلامية، كابي حنيفة ومالك وغيرهما، وقد تخرج على يد الامام الباقر جمهرة كبيرة من الفقهاء كزارة بن اعين، ومحمد بن مسلم، وابان بن تغلب، واليهم يرجع الفضل في تدوين احاديث الامام عليه السلام(٤٤).

ومن الجدير بالذكران الشيعة هم اول من سبق الى تدوين الفقه، يقول مصطفى عبد الرازق: "ومن المعقول ان يكون النزوع الى تدوين الفقه كان اسرع الى الشيعة لأن اعتقادهم العصمة في أئمتهم او ما يشبه العصمة كان حريا الى تدوين اقضيتهم وفتاواهم(٤٥)".

الخلاصة وخاتمة البحث:

تمتع الامام الباقر عليه السلام بسمعة علمية عالية، من كل الاطراف المسلمة والمسحية الذين قابلهم الامام، و ان المسلمين -من غير الشيعة- قد اعترفوا له بالفضل العلمي والذكاء الحاد والفطنة الذهنية، واخذوا عنه، وكان عصره وعصر الامام الصادق عليه السلام عصر تميز به المذهب الامامي فقهيا، وصارت الروايات المروية عن هذين الامامين الاصل للمدرسة الامامية الجعفرية، كما اخذت عنه المدارس الاخرى، وكان العلماء يفدون عليه من كل صوب، قاصدين المدينة، للاستماع الى علمه ورواياته، وقد خاض الامام الكثير من النقاش مع اساطين العلماء كالحسن البصري ومع المعتزلة بصورة عامة. وبما ان عصره كان فترة اضطراب سياسي، فانه ابتعد عن الواقع السلطوي، واتجه الى نشر العلم كوسيلة اولى لإحداث التغيير في المجتمعات، لكن مع ذلك كانت السلطة تحيك له المؤامرات، وكان للغلاة الذين ظهروا في هذه الفترة من تاريخ المسلمين الاثر في ان يتصدى لهم ويبين خطرهم، الا انهم استمروا بالكذب عليه، وصاروا يروون روايات تجعل الائمة بمصاف الله تعالى كالكيسانية، واعطوهم صفات فوق بشرية خارقة متناسين القران الكريم واياته التي تجعل العلم المطلق بيد الله، وان اي صفات فوق بشرية هو نوع من الاشراك. وهذا يبين ان حياة الامام كانت قاسية وصعبة فهو واقع بين قوة السلطة الاموية الغاشمة، وجهل الناس، الذين انجروا في بعض الاحيان خلف الحركات المغالية التي اضرت بمذهب اهل البيت عليهم السلام.

Abstract:-

Imam Al-Baqir (Peace be upon him) enjoyed a high scientific reputation, from all the Muslim and Christian sides whom the Imam had met, and that the Muslims - non-Shiites - had confessed to him the scientific virtue, sharp intelligence and mental acumen, and took from his sciences, The scholars have come to him from all directions, aiming at the city, to listen to his knowledge and his speech. The Imam has fought a great deal of debate with the scholars' diaries such as Hasan Al-Basri and Mu'tazil.

Since his era was a period of political turmoil, he moved away from the authoritarian reality and turned to the dissemination of science as the first means of bringing about change in societies. However, the authority was devising his plots, and the extremists who appeared in this period from the history of Muslims had the effect of confronting them. But they continued to lie to him, and they narrated narrations that make the imams God's sanctification as Kalkissani, and gave them superhuman qualities supernatural forget the Koran and its signs that make the absolute science of God, and that any qualities above human is a kind of involvement. This shows that the life of the Imam was harsh and difficult. It is a reality between the power of the brutal Umayyad authority and the ignorance of the people, who were in some cases behind the exaggerated movements that harmed the doctrine of Ahl al-Bat (peace be upon them).

هوامش البحث

(١) ظ: الكافي:١ /٤٦٩وص٤٧٢ح٦؛ فرق الشيعة : النوبختي، ص٧٣. كذلك: تواريخ النبي و الآل، محمد تقي التستري، تح: محمود الشريفي، دار الشرافة،١٤١٦هـ، ايران، ص٣٣..

(٢) ظ: الكافي:١ /٤٦٩وص٤٧٢ح٦؛ فرق الشيعة : النوبختي، ص٧٣. كذلك: تواريخ النبي و الآل، محمد تقي التستري، تح: محمود الشريفي، دار الشرافة،١٤١٦هـ، ايران، ص٣٣ ظ: المناقب، ابن شهر اشوب:٣ / ٣٣٩،عنه البحار:٤٦/ ٢١٦ح ١٥؛ اعلام الورى:٢٦٤،عنه البحار:٤٦/٢١٩ذح٢٠...

(٣) الكافي، الكليني، ج١، ص٦٨٧..

(٤) الكافي:١/ ٣٣..

(٥) الكاف الكافي:١ / ٣٢؛ الكليني، ج١، ص٦٨٧..
(٦) الكاف الكافي: ٤ /٢٥٤؛ الكليني، ج١، ص٦٨٧..
(٧) تحف العقول: باب ما روي عن الباقرع..
(٨) تحف العقول: باب ما روي عن الباقرع في؛ الكليني، ج١، ص٦٨٧..
(٩)تحف العقول: باب ما روي عن الباقرع ٦٨٧..
(١٠) في المناقب (١٧) ابن شهر اشوب:٤ /٢٠٧..
(١١) ظ: تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن السيوطي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار الشرق، بغداد،دار العلوم الحديثة،بيروت،ط٢، ١٩٨٣، ص٢١٤-٢١٩..
(١٢) https://www.ye1.org/forum/threads/٢٣٧٢٥٨/.
(١٣) شذرات الذهب ١/ ١٤٩؛ عيون الاخبار وفنون الاثار ص١٤؛ كذلك حلية الاولياء ٣/ ١٨٦؛ تاريخ بن عساكر ٥١ /٤٣؛ مرأة الجنان ١/ ٢٤٨. ظ: كذلك: حياة الامام الباقرع، باقر شريف القريشي، دار البلاغة، ط١، ١٩٩٣، بيروت، ج١،، ص٩٧وما بعدها..
(١٤) الصواعق المحرقة، ص١٢٠..
(١٥) تحف العقول عن ال الرسول، ابو محمد بن شعبة الحراني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٧، ٢٠٠٢م، ص٢٠٣..
(١٦) حياة الامام الباقر، القرشي، م س، ١٣٩ وما بعدها..
(١٧) الكافي، الكليني، ١٣٦٥هـ ش.، دار الكتب الاسلامية. ايران ج٢ /١٨.
(١٨) الكافي: ١ / ٣٢.
(١٩) أي الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام.
(٢٠) الكافي: ٤ / ٢٥٤..
(٢١) الأكل على الحضيض: الأكل على الأرض من غير أن يكون خوان.
قال الجوهري: و الحضيض القرار من الأرض عند منقطع الجبل..
(٢٢) قال الفيروزآبادي: إكاف الحمار ككتاب وغراب، ووكافه برذعته، والأكاف صانعه، وآكف الحمار إيكافا وأكفه تأكيفا شده عليه..
(٢٣) بحار الأنوار: ١٦ / ٢١٥.
(٢٤) تحف العقول: لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من فقهاء القرن الرابع الهجري، باب ما روي عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام.
(٢٥) a. b. c. تحف العقول: باب ما روي عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام.
(٢٦) المصدر نفسه..
(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) الكافي: ٤ / ٦٧.
(٢٩) تحف العقول عن ال الرسول، م س، ص ٢٠٤..
(٣٠)أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج١، ص ٢٠٣.
(٣١)المناقب، ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت، طبع عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج٤، ص ٢٤١ – ٢٤٢.
(٣٢)البداية والنهاية، ابن كثير، المكتبة العصرية، بيروت، طبع عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م،ج٧، ص ٢٨.
(٣٣) https://:alkafeel.net/forum.php?t=١١٠٢٨٤، و(يراجع الاحتجاج للطبرسي).
(٣٤)الفكر الشيعي المبكر: تعاليم الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، الرزينة لا لاني، تر: سيف الدين القصير، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ١٤١.
(٣٥) ظ: تاريخ الفقه الاسلامي وادواره، جعفر السبحاني، ن: مؤسسة الامام الصادق،ط١، ١٤٢٧هـ، ص١٣٠..
(٣٦) ظ: البداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩..
(٣٧) وفيات الاعيان:٤ /١٧٤..
(٣٨) ظ: تاريخ الفقه الاسلامي، م.س، ص١٣٣..
(٣٩) ظ: تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الاولى، د. حسين المدرسي الطباطبائي، تر: فخري مشكور، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٨، ص ٤٩..
(٤٠) تاريخ الفقه الاسلامي، م. س، ص ١٣٤..
(٤١) نقلها إبراهيم العامري / ويكيبديا، الموسوعة الحرة..
(٤٢) ظ: الاحكام في اصول الاحكام، ابن حزم الظاهري، ٢ /١٣١..
(٤٣) ابو داود ١/ ١٤٢، النسائي ١/ ٤٢.
(٤٤) ظ: حياة الامام الباقر، م س، ص٢١٧..
(٤٥) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، ص٢٠٢.